

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة الخامسة - العدد التاسع عشر - خريف ١٣٩٤ ش / أيلول ٢٠١٥ م

ص ٨٣ - ٦٣

دراسة الرموز التمثيلية لقصة "السّمكة الصغيرة السوداء"

على ضوء المدرسة الرومنسية

تورج زيني وند (الكاتب المسؤول)*

جهانگیر امیری**

محمد فارغی شاد***

الملخص

تُعدُّ قصة "السّمكة الصغيرة السوداء" لصمد بهرنكي بمجملها قصة تمثيلية تُعبّر عن أمور واقعية نلمسها في واقع الحياة. فقد تشكّلت نواة القصة ولحمتها من الرموز التي أحاطت بها حبكة القصة. لقد صمّم بهرنكي قصته في إطار الرومنسية حيث تجلّت فيها مبادئ الرومنسية بوضوح كالحثّ على القيام بتغيير الواقع بعزيمة وثبات والتغنيّ بالقيم الإنسانية والحرية إلّا أنّ رومنسية بهرنكي لا تحيد عن الواقعية لتنزلق في العبثية والمثالية والوهميّة بل إنّ قصّته تدور في فلك الواقعية هادفة إلى إثارة الأجيال على إصلاح وتحسين الواقع المعاش. يرمى هذا المقال وبالاعتماد على دراسات تبني على الأسلوبية على الصعيد الشكلي والدلالي مستعيناً بالمنهج الوصفي - التحليلي إلى دراسة أهمّ وأشهر قصة كتبها القاصّ المعاصر الشهير صمد بهرنكي مسلطاً الأضواء على الدلالات الرمزية التي تحملها القصة في طياتها من منظور رومنسيّ وذلك في ضوء معطيات مدرسة التمثيل الرمزي والتركيز على الخصائص الفنيّة التي تميّز بها القصة. ومن أهمّ النتائج التي توصلنا إليها عبر المقال هي أنّ الرومنسية في قصة السّمكة السوداء ضربت جذورها في بيئة عاشها كاتب القصة واستلهم منها عناصرها الدرامية والرمزية حتّى جاءت القصة صورة تمثيلية مقتضبة عن الواقع الذي رسمها الكاتب.

المفردات الدليلية: الأسلوبية، الرومنسية، التمثيل الرمزي، أدب القصة، صمد بهرنكي، السّمكة الصغيرة السوداء.

*. أستاذ مشارك للغة العربية وآدابها بجامعة رازي، كرمانشاه، إيران

** أستاذ مشارك للغة العربية وآدابها بجامعة رازي، كرمانشاه، إيران

*** خريج فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة رازي، كرمانشاه، إيران

T_Zinivand56@yahoo.com

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. فاطمة پرچگانی

تاريخ القبول: ١٣٩٤/٤/٢٧ ش

تاريخ الوصول: ١٣٩٣/٩/٨ ش

١- المقدمة:

التمثيل الرمزي آلية فنية أو مدرسة أدبية يحاول فيها الأديب الارتقاء بالنص من مستوى المباشرة أو التصريح إلى مستوى الرمز وصولاً إلى الإثراء الدلالي في النص الأدبي. (يورنامديان، ١٣٨٩ش: ٤٦) وفي هذا السياق لقد استخدم عدد غير قليل من الأدباء الآلية نفسها للتعبير عن متطلبات العصر وحاجاته نظراً للطاقت التعبيرية الهائلة التي يمتلكها الأسلوب التمثيلي. (شيرى، ١٣٨٢ش: ١٥٨) ومما حثّ الأدباء على استخدام أسلوب التمثيل الرمزي في آثارهم هو أنّ هذا الأسلوب يمنح الآثار الأدبية القابلية لمواكبة العصر وتلبية متطلباته ويكتب لها الخلود عبر الأجيال. (شريفان، ١٣٨٦ش: ٢٦) نظراً لطاقت التعبيرية الهائلة التي يمتلكها أسلوب التمثيل الرمزي، فقد شبّه البعض بالبحر الحضمّ الذي لا يستنفد نبعه ولا ينضب معينه. (شميسا، ١٣٨٩ش: ٢٢) وفي السياق نفسه لقد وظّف الكاتب الفاصّ الإيراني الشهير "صمد بهرنكي" لغة التمثيل الرمزي فيمنط قصصى رائع لخلق آثار قيّمة عذبة تقع في النفوس أحسن موقع وتدخل في القلوب دون استئذان. استلهم الكاتب من المدرسة الرومنسية ونهل من منهلها حتى الارتواء كما أنّه أفاد من القصة لإبلاغ صوته إلى القارئ. زد على ذلك أنّه استغلّ لغة الحيوان التي تمثّل مختلف أطباف المجتمع وخير مثال على ذلك هو قصة السمكة الصغيرة السوداء التي يمكن اعتبارها صورة رمزية عن المجتمع الإيراني الرازح تحت وطأة الاستبداد الملكي. (عباسى، ١٣٩٠ش: ١٥٦) وقد تضاربت آراء الناقدین فيما يتعلّق بأسباب اختيار الكاتب لأسلوب القصة ومدى نجاحه في ذلك. (مير عابدينسى، ١٣٨٧ش: ج ٢، ١٧٠) إلّا أنّه لا مرأى في أنّ الأسلوب الذي اختاره بهرنكي نجح في اجتذاب الكثير من القراء ما يدلّ على نجاح الكاتب في اتّجاهه الأدبي. (عباسى، ١٣٩٠ش: ١٤٩) كان بهرنكي يكتب قصصاً للأطفال ويوظّف فيها الأدب الشعبي الذي يحرّض المخاطبين على التعامل مع مجريات الساحة وتحمل المسؤوليات الاجتماعية. وفي السياق ذاته يمكن القول إنّ أشهر قصة كتبها هي قصة السمكة الصغيرة السوداء حيث لاقت إقبالاً وتشجيعاً كبيرين لدى الخاصة فضلاً عن العامة لما تتمتع به هذه القصة من روعة المضمون وجودة الحبكة والاهتمام البالغ بنشر الوعي والثقافة في

ربوع الوطن وزرع روح المغامرة والتحدّي في بني جلدته. (نصرت زادگان، ١٣٨٦ش: ١٨٠) أكبّ النقّاد على البحث حول جوانب القصة التمثيلية وطابعها الرمزيّ إلاّ أنّه لم يتمّ بعد دراسة هذين العنصرين الهامّين في إطار مدرسة الرومنسية. قمنا بدراسة التأثير المتبادل بين القصة نفسها والبيئة التي نشأت فيها القصة وهي بطبيعة الحال بيئة ما قبل انتصار الثورة الإسلامية حيث كان يسودها نظام الشاه الفائق وهو من الأنظمة الاستبدادية التي لم تحترم حرّية التعبير والتفكير للشعب الإيراني. (شهبازی، ١٣٧١: ١٣٥) ولعلّ للاستبداد البهلوي دوره وأثره في حثّ بهرنكي على اعتماد أسلوب التمثيل الرمزي في قصصه. إذ إنّ الأنظمة الدكتاتورية لا تحتمل عادةً انطلاق الأصوات المعارضة ولا تتردّد في إخفات الأصوات وإسكاتها بأيّ شكل أو آخر ولا ننسى أنّ السجون والزنزانات في عهد النظام السابق كانت مكتنّظة بسجناء الضمير والحرية. (المصدر نفسه، ٢١٤) من هذا المنطلق نحاول في هذا البحث الإجابة على الأسئلة التالية:

- ١- بم تتميّز رومنسيّة قصة بهرنكي؟
- ٢- ما هي أبرز الدلالات الرمزية التي تحملها القصة؟
- ٣- ما هي أهمّ الرسائل التي يريد كاتب القصة إيصالها إلى القارئين؟

٢- خلفية البحث

بما أنّ لصمد بهرنكي مكانة سامية وشهرة واسعة في الأوساط الأدبية، أخذ الأدباء والناقدون يهتمّون بدراسة ونقد آثاره اهتماماً بالغاً. وقد أخذت قصة "السّمكة الصغيرة السوداء" نصيب الأسد من البحوث نظراً لقيمتها الفنيّة وأهمّيّتها الأدبية لدى أصحاب الفنّ. فقد أصبحت القصة موضع عناية الباحثين حتّى إنّها ترجمت إلى عديد من اللغات الحيّة ممّا يعكس نجاح الكاتب في إيصال صوته الإنساني للمخاطبين في نطاق واسع. لقد عثرنا على الدراسات التي أنجزت حول القصة لا يمكن استعراضها في هذه العجالة إلاّ أنّ الجانب الرمزي والرومنسي في القصة أمر لم يتطرّق إليها الدارسون وإذا كان هناك آثار عنيت بهذا الموضوع فإنّها قليلة جدّاً. ومن أهمّ البحوث التي تناولت البعد الرمزي والتمثيلي للقصة ما نذكرها كالتالي:

١- "بررسی نشانه - معناشناختی ماهی سیاه کوچولو" (باللغة الفارسية) (دراسة سيميائية معنوية للسمكة الصغيرة السوداء) لکاتبها "على عباسى". حاول المؤلف فى مقاله هذا التعبير السيميائى عن القصة وكما يبدو أنه يدخل فى إطار الدراسات السيميائية ولم يتناول الجانب التمثيلى أو الاتجاه الرومنسى للقصة.

٢- "رمز و داستانهای رمزی در ادب فارسی" (باللغة الفارسية) (الرمز و القصص الرمزية فى الأدب الفارسى) لمؤلفها "تقى پورنامداریان". لقد قدّم الكاتب فى كتابه هذا دراسات مفيدة قيمة حول الرمزية بصورة عامة ولكن ما ذكره حول رمزية قصة بهرنكى قليل جداً لا يسمن ولا يغنى من جوع.

٣- كتاب "صد سال داستان نویسی در ایران" (مرور مائة عام على كتابة القصة فى إيران). الكتاب كما يبدو من عنوانه دراسة تشتمل على نظرة سريعة إلى كتابة القصة بما فيها آثار صمد بهرنكى. إذا لم يتمّ فى الكتاب التركيز على الجانب التمثيلى والرمزى لقصة السمكة السوداء الصغيرة بل إنّ معظم جهوده دخلت فى مصبّ الدراسات الأدبية خلال مائة عام بشكل عامّ.

بناءً على ما ذكرناه توأً يمكن القول بأنّ مقالنا هذا يتميّز عن المقالات المذكورة أعلاها بميزات منها:

أولاً: يرمى المقال إلى دراسة القصة من منظور رومنى محولاً تطبيق الملامح الرومنسية الرئيسة عليها.

ثانياً: يقوم المقال بدراسة وتحليل كافة شخصيات القصة من منظار رومنى وتمثيلى بحيث لا يقتصر البحث على بطل القصة كما هو الحال فى المصادر السابقة.

على أية حال فإننا توخينا فى هذا المقال إعطاء دراسة شاملة لقصة السمكة الصغيرة السوداء فى الجانب التمثيلى ومن رؤية رومنية. نأمل أنّها تملأ الفراغ الذى لمسناه فى هذا المجال راجياً أن تكون إضافة قيمة مفيدة إلى الدراسات التى تمت لحدّ الآن للقصة.

٣- وقفة قصيرة مع سيرة الكاتب

بما أنّ معرفة سيرة الكاتب دوراً بنّاء ومؤثراً لاستيعاب أفكاره وتلقّى رسالته لدى

المخاطب نذكر فيما يلي نبذة قصيرة عن حياته باختصار وإيجاز شديدين. ولد صمد بهرنكي عام ١٣١٨ هـ في "تبريز" في أسرة فقيرة. كان أبوه عاملاً بسيطاً لا يحصل على لقمة العيش إلاّ بشقّ الأنفس. تلقّى الدروس الأولى في مسقط رأسه حائزاً على شهادة الإجازة في كلية الآداب بجامعة تبريز في اللغة الإنجليزية. الحبّ الطاغى الذي كان يجري في عروقه للغة الأمّ حملّه على الاهتمام البالغ باللغة التركية حيث نشر مقالات في المجلات يطرح فيها آراءه ووجهات نظره حول اللغة التركية كما قام بنقد الكتب التي كتبت حول هذه اللغة.

زد على ذلك أنّه ترجم كتباً عدّة من التركية إلى الفارسية. أهمّ الأفكار التي تحوّلها كتبه المترجمة تكاد تدور حول الإيثار والتّضحية والعمل المخلص من أجل مصالح الآخرين. ألف بهرنكي كتباً تنطوي على تجاربه الفدّة ونقده اللاذع. فتكون آثاره مرآة صافية تعكس آلامه ومعاناته.

من أهمّ آثاره: كند و كاو در مسائل تربيتي ايران (بحث في الشؤون التربوية في إيران)، مثلها و چيستاناها (الأمثال والألغاز)، شتر و روباه (الإبل والثعلب)، شاهزاده حلوا فروش (الأميرة البائعة للحلوا)، و ماهی سیاه کوچولو (السّمكة الصغيرة السوداء)، وكما يبدو أنّ بهرنكي استخدم في معظم كتبه لغة القصة آخذاً قصصه من الثقافة الشعبية إلاّ أنّه أضفى عليها طابعاً من الرومنسيّة ومنحها الروح العصرية وجعلها قيّمة يعزف بها أغاني يحبّها شعبه بحيث إنّ القارئ الإيراني يرى في آثاره تجسيداً لآماله وطموحاته وأحلامه ويلمس فيها صدى لآلامه وهومومه ومأساته. (خزائل، ١٣٨٦ش: ١/ ٩٢٣).

مات كاتبنا سنة ١٣٤٧ هـ غرقاً في نهر "أرس" ودفن في تبريز. مازالت الشكوك والغموض تحوم حول موته وملابساته. إذ ثمة شواهد وقرائن تدلّ على أنّه تمّ غرقه في الماء ومّا يعزّز هذه الفرضية أنّه كان يناوئ نظام الشاه المقبور بآثاره التي كان يدعو فيها إلى المطالبة بالحريّات السياسية والمدنية. فليس من المستبعد أن يكون النظام قد استخدم عمّاله لغرقه وإخماد صوته شأن الأنظمة الدكتاتورية التي لا تحتل سماع الأصوات المناوئة. (ميرصادقي، ١٣٨٣ش: ١٠٣)

٤- نبذة عن القصة وأبطالها

تناولت القصة وبأسلوب رمزي خيالي حياة سمكة صغيرة سوداء تعيش مع أسرتها في بركة صغيرة عيشة مملّة لا تجد فيها فسحة تتجول فيها. فسرعان ما سئمت حياتها الضيقة وناشدت أمها ملحة أن تسمح لها بالبحث عن البحر حيث تكون الحياة فيه أوسع وأرحب. ولكن رفضت الأم مطلبها رفضاً قاطعاً خوفاً على حياتها. إلا أن روح المغامرة التي يتحلّى بها بطل قصتنا وشدة حنينه لرؤية العوالم الجديدة شجّعته على القيام بالرحلة رغم مخالفة الأم والكثير من الأسماك الأخرى إياه. تبدأ الرحلة وتواجه السمكة المغامرة المزيد من الأحداث والأشخاص التي تؤثر سلباً أو إيجاباً في مصيرها وتفتح أمامها آفاقاً جديدة من الحياة. تتمكّن سمكة قصتنا من تحقيق أملها في نهاية المطاف حيث تجد البحر وتتمتع من العيش في رحابه الواسع بعد أن تتجاوز كافة الحواجز والعراقيل بالحكمة والشجاعة والصمود والمقاومة. بما أننا سوف نذكر تفاصيل القصة ودراساتها لذا اكتفينا هنا بذكر خلاصة القصة. وأمّا بالنسبة لأبطال القصة فأهمّ وأبرز الأدوار تتعلّق بالسمكة السوداء التي تظلع بدور البطل الرئيسي والتي تدور حولها معظم وقائع القصة وأحداثها. ثمّ أمّ السمكة وهي تمتلك شخصية محافظة تكره المغامرة ولذلك بذلت ما في وسعها لمنع السمكة السوداء التي تفيض بروح المغامرة والمجازفة. ولأمّ السمكة دور كبير في إثارة حماس سائر الأسماك ضدّ الحلزونة التي تنفخ روح البطولة في الأسماك الصغار للقيام بالرحلة برفقة السمكة السوداء الصغيرة. ثمّ السرطان وهو الكائن الذي يعاني من الخيلاء والترجسية ولا يتوانى جهداً في الازدراء بالأسماك الصغار وزرع الخوف فيها والبطل الآخر هو الحلزونة التي تُسدى للسمكة السوداء بنصائح قيّمة وتوصيات حكيمة يستفيد منها بطل القصة أثناء رحلته المحفوفة بالأخطار. وأمّا أكثر الأدوار سلبياً تتعلّق بالبعجة وهو الطائر الذي يفرّق بين الأسماك بمختلف الدسائس وشتى الحيل حتى يتمكّن من تناول الأسماك الصغار ولا ينجو من مؤامراته القذرة سوى السمكة السوداء الصغيرة التي تتمتع بالذكاء واليقظة والدهاء.

٥- أسباب توظيف بهرنكي للتمثيل

قد تختلف الدلالة الرمزية للأشياء باختلاف البيئات والثقافات. خذ علامة الصليب مثلاً «فإنها علامة رمزية لما يحمله المسيحيون ويقدّسونه حيث يذكرهم بالآلة التي صُلب عليه النبي عيسى (ع) إلا أنّ العلامة نفسها ترمز في أجواء غير مسيحية إلى مفترق الطرق.» (لاج، ١٣٨٨ش: ٢٤١)

أو كما قال البعض «إنّ التمثيل هو عبارة عن آلية بيانية تستمدّ من الرموز للتعبير عن المعاني بأسلوب غير مباشر وفق ما تستدعيه الحاجة.» (شريفان و داربيدي، ١٣٨٦ش: ٦١)

ربّما أهمّ ميزة تمتاز بها قصة بهرنكي توظيف الكاتب للرموز التمثيلية فيها بحيث إنّ القصة تأخذ في نسيجها العامّ طابعاً رمزياً. (مير صادقي، ١٣٨٧ش: ٤٠٠) لقد بلغت القصة في بعدها الرمزي غايتها فإنّها تجسّد المعاني أمام ناظرى القارئ بشكلٍ يستطيع أن يراها كما يرى الأشياء على أرض الواقع. يتحقّق التمثيل عندما يتجاوز الكاتب أو الشاعر مستوى المباشرة وارتقى بالنص إلى مستوى الرّمز والألغاز.

«تتكوّن آلية التمثيل من وجهين: وجه ظاهر للقارئ مصحوب بالرمز ووجه خفيّ يرمز إليه الوجه الظاهر.» (المصدر نفسه: ٣٩٨) فالوجه الظاهر يحثّ القارئ على العمل الذهنيّ الجادّ لحلّ الرمز وفكّ الألغاز عنه ومن ثمّ استجلاء الأفكار التي أودعها الكاتب أثناء الرمز ومما يساعد القارئ على جولة استكشافية في أروقة الرمز هو الشعور بالمجازية الفنية والمتعة الأدبية التي يجدها داخل النصّ.

يمكن تفسير آلية التمثيل بأنّها محاولة أدبية ممتعة لتحويل المفاهيم الذهنية إلى صور حيّة محسوسة أمام عيون القارئ. (بورنامدريان، ١٣٨٩ش: ٢٢٧) وأمّا فيما يتعلّق بقصة "السّمكة الصغيرة السوداء" للكاتب الإيراني الشهير صمد بهرنكي، نستطيع القول بأنّ الكاتب استخدم فيها آلية التمثيل بأقصى درجة من الروعة والنجاح. وكذلك أضفى عليها طابع الرمز. تساهم رمزية القصة في تشجيع القارئ للبحث عن المعاني المقصود بها. قصة بهرنكي لا تشجّع القارئ على فهم أسرارها فحسب بل تجعله أيضاً

يتمتع بالقصة لما يجد فيها من متعة فنيّة وذوق أدبي رفيع.

مّا زاد من إقبال القارئ على القصة أنّها تحتوي على صلات وطيدة تربطها بأرض الواقع، بحيث لا يحسّ القارئ أثناء قرائته للقصة أنّها قصة خرافية وهمية بعيدة عمّا يجري في ساحة الحياة.

«تشير قصة بهرنكي فضول القارئ وتفعل بها مثلما تفعله الأحجار بالمياه الراكدة من إثارة الأمواج المتلاطمة فيها.» (نصرت زادگان، ١٣٨٦ش: ١٧٩) إلا أنّ قصة بهرنكي لا تترك أذهان قارئها ضائعة متسكّعة وسط متاهات الرمز بل تعطيها الشعور بالاطمئنان والسكون شأن السفينة التي تتقاذفها الأمواج الهوج وتضربها الرياح السود ولكن يقودها ربّانها بعزيمة وثبات إلى ساحل البرّ والأمان. ممّا يساند القارئ على فهم القصة واستيعابها أنّه يجد بين الصّور الرمزية في القصة وحياته الواقعية أوجه التشابه تضيء على القصة صبغة واقعيّة لا تتنافى مع أجواءها الرومنسيّة لأنّه كما مرّ سابقاً أنّ رومنسيّة بهرنكي أخذت جذورها من الواقعية. (شيرى، ١٣٨٢ش: ٢٠)

لا يقوم الأديب باستخدام التمثيل في نصّه الأدبي إلا عن وعي وإرادة بغضّ النظر عن البواعث التي تقف وراء القصة من الآمال والآلام. والسبب في ذلك يكمن في أنّ عملية التمثيل هي: «عملية فنيّة معقّدة لا تتمّ إلا بعد أن أطلق الأديب فكره وخياله في عالم الرموز لاقتناص ما يرمز به إلى ما يدور في خَلده في نطاق قصصي رائق.» (عباسي، ١٣٩٠ش: ١٤٩)

بناءً على ذلك أنّ عملية التمثيل الرمزي هي عبارة عن اختيار الرموز التي توحىها أفكار الأديب في منظومة دلالية متماسكة فسيفسائية.

العناصر التي حشدها بهرنكي في حبكة القصة تلعب دورها في إعطاء صورة واضحة عن فكرة الكاتب للقارئ ما يدلّ على براعة الكاتب في تصميم القصة ومهارته. نستنتج أيضاً ممّا سبق أنّ بهرنكي كان يتمتع برؤية واضحة لا يشوبها الغموض وخير دليل على ذلك قدرته على خلق قصة ناجحة مثيرة. والنجاح الذي حقّقه بهرنكي في تصميم قصة السمكة جعل النقاد يعتقدون أنّ فكرة القصة نابعة من شعور واع ومنفتح لدى الكاتب. فلذلك قال أصحاب فنّ القصة: «إنّ التمثيل الناجح هو ترجمة رمزية

لشعور الأديب الواعي.» (بورنامداريان، ١٣٨٩ش: ٢٣٥)

يجب أن لا يغيب عن بالنا دور الخيال والإبداع في نشوء القصة وبخاصة التمثيلية منها إلا أنه يجب الأخذ بنظر الاعتبار أن للقصة علاقة بما يجري في حياة الأديب القاص. يمكن القول إن ثمة علاقة عضوية بين الجانب التمثيلي من القصة والواقع الذي يعيشه بحيث لا يمكن فهم أحدهما بمنأى عن الآخر وقد ذهب البعض أبعد من ذلك حيث قال «إنّ الواقع يعدّ مصدر إلهام وإبداع لا بدّ منهما في عملية القصّ.» (شميسا، ١٣٨٩ش: ٢٦٣) كما ذهب بعض آخر إلى أنه «لا يمكن للقارئ فهم القصة والإمام بدقائقها وخباياها من دون الوقوف على الواقع الذي عاشه الكاتب.» (المصدر نفسه: ٢٦٥)

من هذا المنظار لو تتبعنا قصة بهرنكي لوجدنا فيها احتكاك الرمز بالواقع. فالقارئ للقصة يتوسّم بذوقه السليم أنّ الشخصيات والأشياء لا تحمل معناها الحقيقي بل ترمز إلى أشخاص وأفكار يريد الكاتب التعبير عنها في ظلّ آلية التمثيل.

الرموز التي استدعاها بهرنكي في قصته باتت ترتبط بعضها ببعض في منظومة متشابكة رائعة تمكّن القارئ من اختراق الرموز والتوغّل في خضمّ المعاني واستيعاب الطريقة التي يفكر بها الكاتب. في السياق نفسه يرى الناقدون «أنّ القارئ لقصة بهرنكي لا يواجه صعوبة أو تعقيداً في إزالة القشور والحصول على لباب المعنى نظراً إلى أنّ قصته تسير وفقاً لخطة منطقية وتقوم على نظام مدروس متماسك الأجزاء.» (مير صادقي، ١٣٨٧ش: ١١٧) فلو ارتكب الكاتب أثناء كتابته للقصة خطأ لانعكس سلباً على روعة التصميم أو نجاح التمثيل ممّا يؤدي إلى «ضياع القارئ في غياهب الرمز وتخبّطه في عتمة الغموض.» (المصدر نفسه) بناءً على ذلك اعتبر النقاد التمثيل من أخطر المزالق التي يمكن أن ينزلق فيها الكتاب أو الشعراء. ولذلك طالما أكّدوا على ضرورة اتّخاذ خطوات متمهّلة رصينة من قبل الكاتب ليكون بمأمن عن الأخطاء التي تكمن له عبر عملية التمثيل. (لاج، ١٣٨٨ش: ١٢٧)

ومّا يساعدنا على فهم أسباب نزوع بهرنكي إلى آلية التمثيل أنّه كان يحمل أفكاراً مناوئة لنظام الشاه الإيراني ويندّد بـ «سياساته الخاطئة التي أدّت إلى شيوع الفقر

وتفشى الفساد وانتشار المظالم في ربوع الوطن.» (شهبازی، ١٣٧١ش: ٤١) فكان من المتوقع جداً أن يستغلّ بهرنگی ومن سار على دربه لغة التمثيل للمواجهة مع نظام لا يتحمّل أدنى قدر من النقد ويعامل معارضيّه بأقصى درجة من القسوة والعنف.

من المدير ذكره أنّ بعض الأخصّائین للآثار القصصية صنّفوا بهرنگی ضمن كتاب المدرسة الأذربيجانية. (شیری، ١٣٨٧ش، ٥٧) أنّ من أبرز ميزات هذه المدرسة شغف كتابها لمحاكاة القصص الشعبية ذات تصميم بسيط. ممّا يؤيد ذلك خلوّ قصة بهرنگی من الغموض الذي يحول دون فهم القصة واستيعابها. لقد صدق من قال: «إنّ التمثيل هو أسهل طريقة للتعبير عن المقصود وإقناع القارئین به.» (المصدر نفسه: ١٦٧)

لو أردنا تقييم قصة بهرنگی من هذا المنظور نستطيع القول إنّ النمط الرمزي الذي اختاره لقصّته ينسجم مع غايته المنشودة حيث تريد القصة إزاحة القناع عن «النظام الملكي الجائر الذي ضيق الخناق على الشعب الإيراني وحرمه من أبسط حقوقه.» (شهبازی، ١٣٧١ش: ١٦٦) علماً أنّه ليس من السهل نقد الأنظمة الجائرة إلاّ بطريقة التمثيل الرمزي على غرار ما فعله بهرنگی.

٦- تحليل القصة على ضوء مدرسة التمثيل الرمزي

نستعرض فيما يلي أهمّ مواقف قصة بهرنگی ونحاول دراستها على ضوء التمثيل الرمزي والرومنسية:

يمكن اعتبار السمكة السوداء عنواناً رمزياً لحاجة الإنسان الماسّة للبحث عن العوالم الجديدة لكن يقوم الإنسان غالباً ما إلى كبح رغبته الجارحة نحو الجديد لأسباب مختلفة من أبرزها الخوف من الوقوع في المتاعب والمشاكل. انظر كيف أعربت السمكة الصغيرة عن رغبتها في الترحال مع أنّ أمّها منعتها من ذلك: «قالت السمكة: أه! يا أمّاه لقد سئمت الحياة في هذه البركة الضيقة فها أنا مصمّمة على تركها للبحث عن البحر الذي يزخر بالعجائب والغرائب.» (بهرنگی، ١٣٨٦ش: ٣٧٧) «ضحكت الأمّ قائلة: كانت تراودني أنا أيضاً هذه الأفكار عندما كنتُ صغيرة يا عزيزتي ليس لهذه البركة بداية ولا نهاية فإنّها ماءٌ يجري إلى ما لا نهاية له.» (المصدر نفسه)

ربّما ترمز البركة الضيّقة إلى كلّ بيئة تُقيّد عقول وأفكار أبناءها بحيث لا يستقرّ فيها ولا يطمئن إليها إلاّ كلّ من تأقلم مع ظروفها الخائفة كما هو حال الأسماك العالقة في البركة. إذ لا تسمح البيئات الصغيرة لسكانها بالانفتاح على العالم. فإنّها كما لو كانت مستنقعاّ آسناً تخلو من الحياة والحركة.

تمثّل السّمكة في القصة شخصية تختلف عن شخصية الأمّ جملة وتفصيلاً لأنّها رغم أمّها استجابت حبّها الجامح لزيارة الآفاق الجديدة والتوسّع من مستوى وعيها وتفكيرها. والمانع الآخر الذي يحول دون انفتاح الإنسان على العالم هو قلة الاعتماد على الذات كما هو الحال في جارٍ للسّمكة حيث يقول لبطل القصة بلهجة ساخرة:

«قال الجار للسّمكة: أيتها الصغيرة منذ متى أصبحت عالمةً وحكيمة ولم نخبرنا به؟!»

(المصدر نفسه)

الرسالة التي تحملها إلينا المقطعات السابقة هي أنّ الإنسان الذي يفقد الثقة بالنفس والجرأة على المغامرة وركوب الأخطار لن يكون قادراً على تنمية قدراته وتفجير طاقاته ولن يكون له أثر في حياة الآخرين كما أنّ أمّ السّمكة وجارها مثالان بارزان لمن لا يملكون قدراً كافياً من الشجاعة والاعتماد على الذات للقيام بتحسين ظروفهم المعيشية. بطل القصة في هذه القصة يرمز إلى الإنسان الذي يجعل التنقل إلى مواطن جديدة فرصة لتفجير طاقاته والتأثير على الآخرين ولا يهّمه ما خبأ له الدهر في هذا المسار ولا تأخذه في ذلك لومة لائم. ولذلك يقول بطل القصة لجاره:

«الذي يهمني هو أنّ حياتي أو موتي كيف يؤثّران في حياة الآخرين.» (المصدر نفسه:

(٣٩٧)

المقالة التي تفوّه بها السّمكة ترجمة حرفية لفكرة الكاتب ورؤيته تجاه الحياة والتي تبلورت في معظم آثاره. لقد وطّن بهرنكي نفسه على العمل من أجل تأصيل وترسيخ المعاني السامية في دواخل النفوس كما كرّس حياته القصيرة لدفع قارئ القصة نحو مدينة الأحلام ألا وهي مدينة تزخر بالكرامة والحرية والسعادة.

جمعت حادثة رهيبية السّمكة السوداء مع مجموعة من الأسماك. فإنّ جمعة النقطت السّمكة مع رفاقها بمنقارها. ثمّ فكّرت البجعة في مؤامرة تفرّق بها بين الأسماك العالقة

في مناقرها لتضعف قدراتها. ومهما سعت السمكة للكشف عن نية البجعة المشؤمة أخفقت جهودها:

خاطبت البجعة الأسماك قائلة:

«أصفح عنكم ولكن بشرط قالت الأسماك تفضل بذكر الشرط سيّدنا، قالت البجعة: لو أسكتكم هذه السمكة الفضولية ستنالون الحرية.» (المصدر نفسه: ٣٩٣)

لم تأل السمكة جهداً لتقويض ثقة الأسماك بالبجعة وإبطال مؤامرتها القذرة فقالت لها إن البجعة المحتالة تريد أن تفرّق صفوفكم وتوقع بينكم البغضاء والشقاق:

«تتحت السمكة السوداء قليلاً وهي تخاطب الأسماك: لا تتقوا بهذا الطائر الماكر فإنه يريد أن يوقع بيننا العدوان والنزاع.»

إلا أنّ الأسماك الصغيرة لم يهّمها شيء سوى التخلص من منقار البجعة فأخذت تضرب السمكة السوداء مبرحاً. فانسحبت السمكة قليلاً وهي تتمتم: يا أيها الجبناء أنتم محبوسون في فم الطائر شتمتم أم أبيتم فلا تقدرون عليّ، في هذه الأثناء قطع كلامها أحد الأسماك صائحاً في وجهها: اخرس! لم نعد نطبق هذه الأحاديث. افتعلت السمكة نزاعاً صورياً بينها وبين الأسماك فلم تلبث أن طرحت نفسها وتظاهرت وكأنّها ميّنة لعلّها تنقذ بهذه الحيلة الأسماك من سجن البجعة.»

لم تنجح حيلة السمكة الصغيرة في إفشال مؤامرة الطائر لأنّ الأسماك لم تكن على بصيرة من أمرها وأنّ الطائر عزم على ابتلاع الأسماك مهما كلفه من ثمن:

«ضحك الطائر مخاطباً الأسماك: سأبتلع كلّكم أحياء كي تتفرّجوا في أرجاء بطني جزاء لما فعلتم!» (المصدر نفسه: ٥٩٣)

قد تكون الرسالة التي يريد الكاتب إرسالها إلى القارئ المتلقّي هي أنّ الوفاق والوئام أمر لا يحصل في أجواء تسودها حالات من الأنايية والأثرة والغفلة فمن المستحيل في هذه الظروف العيش في وحدة وتلاحم. والبجعة التي تحتال على الأسماك وتبتلعها كوجبة شهية له، عنوان رمزي لكلّ نظام استبدادي يطبق مبدأ "فرّق تسد" كي يحوّل الشعب شيعاً وأحزاباً تتنازع وتتنافس على مصالح وأطماع حزبية وشخصية

ضيقة حتى تفقد قدرتها وتذهب ريجها في نزاعات وحروب متناحرة دامية. فتستأثر الحكومة دونما خوف أو قلق بثروات الشعب وخيراتهم وتجهز على كل من يقف في وجهها بطريقة أو أخرى كما وجدنا في مجعة القصة.

الفكرة الرئيسية التي نستخلصها من خلال هذه المشاهد من القصة هي أنه لن يكون للإنسان تأثير في حياة الآخرين إلا إذا كان ذا فكر منفتح ورؤية شاملة واندماج مع أبناء المجتمع وعمل على لمّ الشمل ورأب الصدع ونبد الفرقة والتشتت. فلو كانت الأسماك تتمكّن من أن تفكر في مصالحها العامة وسط أجواء من التضامن والمواساة لما أصبحت وجبة سائغة للطائر الجشع. وفي جهود السمكة المضنية لإيقاظ بنى نوعها من سبات الغفلة رسالة إلى الطبقة المثقفة والمستنيرة للمجتمع لتقوم بنشر الوعي والثقافة واليقظة بين أبناء الشعب وتزويدهم بالعلم والبصيرة يحبطون بها المخططات التي تستهدف أموالهم وأنفسهم وأرضهم وديارهم. إلا أن عملية التنوير وزرع الآمال في ربوع المجتمع الذي يغطّ في سبات عميق بحاجة إلى المزيد من الجهد المخلص والمتّسع من الزمن. بناءً على هذا أنه يمكن اعتبار السّمكة في قصة بهرنكي بأنها عنوان رمزي لكل من يناضل من أجل الوصول إلى حياة أفضل ومستقبل وادع.

كما تستحق أيضاً أن تكون مثالاً للجيل القادم الزاخر بالإبداع والديناميكية نظراً لحدائتها وصغرها وربّما سوادها يعبر عن الطبقة المنكوبة والمهمّشة من أبناء المجتمع. (نصرت زادگان، ١٣٨٧: ١٩٤)

مهما يكن من أمر فإنّ السّمكة تمثّل بطلاً يحرص على هدفه بإلحاح دون أن يكثرث بالأخطار التي يواجهها في سبيل ذلك:

«قالت السّمكة الصغيرة السوداء لأمّها: ربّما تظنّ أنّه قد علّمني أحدّ هذه الأحاديث ولكن يجب أن تعرف بأنّ هذه الفكرة تساورني منذ زمن بعيد جداً فإنّني عرفت أنّ معظم الأسماك عندما تتقدّم في السنّ تشكو من أنّها ضيّعت فرصة حياتها وسحابة عمرها دون جدوى.» (بهرنكي، ١٣٨٦ش: ٣٧٨)

كما أنّ أمّها تمثّل إنساناً ذا رؤية ضيقة وفكرة قاصرة وأقام جداراً منيعاً بينه وبين ما هو خارج عن نفسه وفي ذلك يكمن السبب في أنّها تمنع السمكة من الانطلاق وراء

أمانيتها والكشف عن عالم واسع طليق يواكب رغباتها وطموحاتها. فبالرغم من أن الأم لا تفكر إلا في مصالح الأولاد ولا تريد إلا ما يجلب لهم السعادة والنجاح إلا أن القصور في التفكير قد يجعلها عاجزة عن تشخيص ما يحقق لأولادها حياة سعيدة كريمة ولذلك منعت أم السمكة بطل قصتنا عن الرحلة والمخاطرة بحياته لنيل غاياته المنشودة؛ ويرى بهرنكي أنه يجب على الجيل الجديد عدم القبول بمطالب الوالدين الداعية إلى الاستسلام أمام الواقع وعدم التطلع إلى ما هو المرجى. فنراه أنه يشجع الأولاد على التمرد والعصيان على كل ما يقيد طاقاتهم الكامنة ومواهبهم الثمينة ولكن بالطريقة التي لا يسيئون بها إلى أحد من ذويهم مثلما فعلته السمكة السوداء بأمها فإنها بذلت قصارى جهدها لإقناعها لكي تسمح لها بمغادرة البيت والبحث وراء البحار عن آفاق جديدة مواتية لميوها وأوطارها:

«لما رأَت السَّمكة أنَّ جهودها في إقناع أمِّها باءت بالفشل وأنَّ أمِّها رفضت مطلبها التزمت الصمت إلاَّ أنَّها سهرت ليلتها على فكرة القيام بالرحلة إلى عالم جديد في الغد.»
(المصدر نفسه: ٣٩١)

وأما السرطان فإنه يرمز إلى الإنسان الذي يتخيّل نفسه حكيمًا حتى يذهب أخيراً ضحية رؤيته الخاطئة:

«قال السرطان إنَّ هذه الضَّفادع تعتبر نفسها دون غيرها سعيدة وأريد أن أثبت لها أنَّ السعيد من هو!» (المصدر نفسه: ٣٨٥-٣٨٦)

المصير المؤلم الذي أدّت إليه حياة السرطان هي رمزٌ لكل من يفتقد رؤية واضحة حقيقية لنفسه ومكانته وقدراته.

«تعرّض السرطان لضربة قاضية من قبل الراعى أودت بحياتها.» (المصدر نفسه: ٣٨٦)

الرسالة التي تحملها حياة السرطان إلى القارئ هي أن البقاء في هذا العالم الذي تكتنفه الأخطار يحتم على الإنسان أن يتزوّد بكل ما يحتاجه لمواكبة الحياة من القدرات المادية والمعنوية. فسرطان قصتنا لو كانت تمتلك رؤية صحيحة واقعية لنفسها وقدراتها لم تسقط في هاوية الموت والهلاك.

إذاً بات واضحاً أنّ قصة بهرنكي تعتبر بمجملها قصة تمثيلية حيث إنّ سمكة صغيرة تسكن في بركة متواضعة ثمّ تغادرها بعد أن تسأم البقاء فيها بحثاً عن نهايتها لكنّها تواجه في مغامرتها مشاكل تتجاوزها بحكمة وحنكة حتّى تصل في نهاية المطاف إلى شاطئ البرّ والأمان.

فالسّمكة رمزٌ في لغة التمثيل للإنسان الذي يتصارع في معترك الحياة مع المزيد من الصعوبات طلباً للوصول إلى مبتغاه وهو البحر الذي يرمز بدوره إلى المتسع من الحريات. وبإمكاننا أن نقول أيضاً «إنّ السّمكة تمثّل إنساناً كادحاً يحلم بالحياة الكريمة بعد أن تبرّم بجياتها البائسة.» (ميرعابديني، ١٣٨٧ش: ٤٣٧)

تبدأ السّمكة رحلتها من البركة أملاً في الوصول إلى البحر الذي يمثّل أحلامها كلّها إلاّ أنّها لا تريد بالرحلة الفرار من الواقع والتخلّي عن مسؤولياتها تجاه الحياة. فكما أسلفنا سابقاً أنّ رومنسيّة بهرنكي بُنيت على الواقعية حيث إنّها تحفز أتباعها على تغيير الحياة ونمط العيش فيها.

الحماس الذي تبديه السّمكة لتحسين ظروف الحياة تعطينا القناعة بأنّ قصة بهرنكي تقوم على نظرة معرفية تولى الحياة الواقعية اهتماماً بالغاً بشكل لا يدع مجالاً للشكّ. تبدأ السّمكة جولتها الخطيرة وهي كائن غرير عديم الخبرة وقليل التجربة وتنتهي منها وهو مستبصر قد حصلت على تجارب ثمينة. والرمزية التي نستجليها من خلال ذلك هي أنّ شخصية الإنسان لا تتضح ولا تكتمل إلاّ إذا انصهرت في أتون المشاكل وخاض غمرات الحياة وشدائدها. والمحطّات الصعبة التي تمرّ بها السّمكة عبر رحلتها هي خير دليل على ذلك. (المصدر نفسه: ٥٤٥)

البركة في القصة ترمز إلى بيئة صغيرة متواضعة. الحياة الحقيرة جعلت السّمكة السوداء تنظر إلى العالم نظرة ازدراء واستهجان كما أنّ الإنسان الذي نشأ وترعرع في بيئة صغيرة يحمل عادةً رؤىً ضيّقة قاصرة. والأمر لا ينحصر في السّمكة السوداء بل يشمل الأسماك كلّها بما فيها أمّ السّمكة السوداء. إلاّ أنّ السّمكة السوداء أخذت قرارها الحاسن على تغيير حياتها إذ لم تعد تروقها فعزمت على اجتيازها للوصول إلى بيئة واسعة مترامية الأطراف «فما إن وصلت السّمكة البحر حتى تحوّلت إلى كائن

رحب الصدر واسع التفكير ما جعلها تضحى بنفسها لإنقاذ الأسماك من مأساتها.»
(عباسي، ١٣٩٠ش: ١٦٠)

أما الحلزونة في القصة فإنها ذات دلالة رمزية إذ إنها تمثل إنساناً حكيماً ينشر الوعي والثقافة بين أبناء بيئته. فقد بذلت الحلزونة في القصة ما في وسعها لتوعية السمكة الصغيرة السوداء بحقارة العيش التي اعتادتتها. تمكنت الحلزونة الحكيمة أخيراً من تزويد السمكة الصغيرة بالوعي واليقظة تجاه حياتها المؤلمة. ولكنها أخفقت جهودها بالنسبة إلى سائر الأسماك. ظلت أم السمكة وجاراتها تكره الحلزونة فحملتها مشاعر الكراهية على قتل الحلزونة الحكيمة كي لا تؤثر أفكارها في الأسماك الصغيرة فتشجعها على مغادرة بيتها وأسرتها. من منظار آخر تمثل الحلزونة مصدر إلهام وحيد للأسماك الصغار تغرس فيها حب المغامرة والطموح. فاغتالها الأسماك الكبار لا لشيء سوى لأنها تعوّدت على العيش في بيئة منعزلة مغلقة بعيدة عن أية مغامرة. تمثل الحلزونة في القصة الشخصيات القيادية التي تتحمل أعباء القيام بتنوير الأفكار وتوعية العقول لأداء المهام في عالما الراهن لا يمكننا تخيل الحجم الكبير من الأهمية والحساسية التي تحظى بها مسئولية الحلزونة إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار صعوبة تطوير وتحديث الأوساط التقليدية والمتخلفة. مثل الحلزونة في الحقيقة مثل الإنسان الذي يريد أن يسبح بالاتجاه المعاكس للبحر حيث يواجه في مسيرته الأمواج الضخمة الهائلة التي تعيق مسيره فلا يصعب على أحد تخيل خطورة الظروف التي يمرّ بها. كذلك حاولت الحلزونة الحكيمة إقلاع جذور الخوف من داخل النفوس وزرع بذور الشجاعة والطموح. مكانها ولكنها لم تلق دعوتها آذاناً صاغية حيث ارتطمت جهوده بصخور التعتن والعتو. فكان عاقبة أمرها أن تواطت ضدها أبناء البركة وصبّت عليها كؤوس الشقاء والمرارة. وهكذا راحت الحلزونة ضحية قضيتها التوعوية في البيئة التي تعيش فيها وأغلقت أبوابها على أيّ تغيير في نمط الحياة. والرمزية التي تحملها حياة الحلزونة هي «أنّ البيئات الصغيرة والضيقة تقتل روح الطموح والمغامرة» (پورنامداریان، ١٣٨٩ش: ١٨٧)، في أبنائها بحيث إنهم يتخيلون حياتهم حياة مثالية راقية في الحال أنها أشبه ما يكون بنفق مظلم لا يوجد في نهايته بصيص من نور الأمل.

٧- جذور الصلة بين القصة وبيئة الكاتب

لقد أسلفنا أنّ بين قصة بهرنكي والبيئة التي عاشها جذورٌ حقيقية نلمسها خلال تتبعنا للقصة. فالقصة مولود رضيع خرج من رحم البيئة وتغذى من ثديها فليس من قبيل المبالغة أن نقول بأنّ القصة بمجملها ترجمة رمزية للأحداث والشخصيات التي شهدتها الساحة في الآونة التي يحكم فيها الشاه الإيراني وجلاوزته بالنار والحديد. ومما يؤيد هذه النظرية ما قاله بعض الناقدین للقصة حيث قال: «القصة لا تكتب في الفراغ.» (لاج، ١٣٨٨ش: ٦٤)

تذكرنا القصة بالظروف التي كان يعيشها كاتب القصة بهرنكي أيام حكم الشاه البائد. إذ إنّ القصة رغم قصر حجمها تحتوي على دلالات تعكس وبطريقة رمزية المجتمع الإيراني الرازح تحت الحكم الملكي المتعطرس. حاول النظام الملكي الجائر على غرار ما فعلته البجعة في قصتنا عبر حملة إعلامية ودعائية إقناع أحاد الشعب بأنّ بلدهم إيران خير بلد في العالم حيث ينعم بالأمن والرخاء ويتمتع شعبه بالحرية والعيش الكريم. لكن الجهود المكثفة التي بذلها النظام الملكي الساقط لم تؤت أكلها في حشد دعم وحماية الشعب سوى أولئك الذين تعرّضوا لعملية غسل الدماغ عبر سني حكم الشاه. والذي يمثّل دور المتحمسين على النظام المقبور هو أمّ السمكة السوداء وكلّ من شاطرها في منع الأسماك الشابة من انتهاج نهج جديد في الحياة. ثمّ إنّ السرطان فإنّه يؤدّي دور المثقفين والمفكرين الذين ناهضوا حكم الشاه الدكتاتوري ولكن بطريقة خاطئة. حيث إنهم انزلوا عن الجماهير ومارسوا الأساليب التي لم تكن قادرة على التأثير في أذهان الشعوب وبخاصة الشباب منها، ولذا استطاع الشاه القضاء عليهم بالإعدام والسجن والنفي وغير ذلك من سبل الكبت والقمع والتنكيل. أمّا السمكة السوداء فإنّها تجسيد تامّ وتمثيل واضح عن الشباب الذين طالبوا بالحقوق التي حرّموا منها من الحرية وحقّ التعبير لكنهم وجدوا الطريقة مليئة بالمخاطر والتحديات. لم تقف مأساة أبناء الثورة عند هذا الحدّ إذ إنّ النظام الغاشم حرص على تمزيق صفوف الشعب وشقّ عصا الأمة مستخدماً في ذلك أنواع الحيل وأساليب الخداع ممّا أدّى إلى فصل وإبعاد الشخصيات المتيقظة والمستنيرة عن أبناء الشعب وغياب روح الوعي

الجماعى عن المجتمع. والشخصية التي تحمل رسالة تنوير العقول في قصة بهرنكى هي الحزونة التي بذلت جهداً حثيثاً لإثارة الأسماع على الظروف المزرية المخيمة على بيئتها وتحويلها إلى مكان تسوده مظاهر الوعي والصحة والأمل. يمكن القول بأن قصة بهرنكى هي نسخة صغيرة ومقتضبة عن حياة الشعب الإيراني زمن الحكم السابق. إذ بإمكان القارئ رصد ملامح تلك الحقبة السوداء برمتها داخل القصة بأسلوب تمثيلي. وهناك مماثلة واضحة بين نهاية القصة ومصير الشعب الإيراني الثائر فكما نجحت السمكة السوداء في الوصول إلى غايتها المنشودة نجح شعبنا الواعى في طي صفحة النظام الملكي المكفهرة وفتح صفحة جديدة بيضاء ناصعة بإقامة نظام يحترم لأبنائه الحرية والكرامة والعيش السعيد.

٨- رومنسية قصة بهرنكى

يبدو أن قصة بهرنكى تنحاز إلى المدرسة الرومنسية ولكن ليس تلك الرومنسية التي تدعو إلى الفرار من المسؤولية والانطلاق وراء الإباحية والخلاعة. إلا أنه من المؤكد أن القصة تحمل بصمات رومنسية في كثير من مواقفها بحيث يستنشق من القصة عبق الرومنسية حينما تدعو بنبرة عالية إلى حرية التفكير في إطار الشعور بالمسؤولية. «إذ يحترم الرومنسيون حرية التفكير والشعور دون قيد أو شرط.» (ميرصادقى: ٤٢٢) والرحلة التي تقوم بها السمكة السوداء رغم الأخطار المحدقة بها لا يمكن تفسيرها إلا في ضوء الرؤية الرومنسية التي تشيد بالجهود الرامية إلى العثور على الحرية. الميزة الأخرى التي تتميز بها الرومنسية «أنها ترى الحياة بروية مثالية فلا يرضى الواقع بل يتطلع إلى ما هو المرتجى وما هو مدينة الأحلام.» (واحد، ١٣٨٤ش: ٢١١ - ٢١٢)

كذلك الحال في قصة بهرنكى إلا أن السمكة لا ينطلق وراء آمالها وأمانها في عالم الخيال بل تبحث عن تحقيقها في الحياة الواقعية علماً بأن القضية التي تتوخاها السمكة قضية جماعية تشاركها فيها الأسماع برمتها. «يعبر الأديب الرومنسى أهمية قصوى لآماله وتطلعاته معتبراً الحب مصدر إلهام للفن ومبعث أمل في الحياة.» (محسنى،

نجد للحبّ صدئاً واضحاً في قصة بهرنكي فالحبّ هو الذي يحفّز السّمكة على الكشف عن عوالم جديدة والتأثير في حياة بنى جلدتها فبدون الحبّ لا مغزى للحياة في الرؤية الرومنسيّة. والميزة الثالثة التي تميّز بها رومنسيّة بهرنكي هي الصمود والمثابرة على متابعة الأهداف وبذل الغالي والنفيس دونها نظراً لما يتركه الطموح والرؤية المثالية في حياة الفرد والمجتمع من آثار إيجابية بناءة.

وفي قصة بهرنكي نجد السّمكة يتابع أهدافها بإرادة لا تُقهر والمصائب التي تمرّ بها في رحلتها الاكتشافية لا تزيدها إلا قوة وعزيمة للفوز بالأحلام.

النتائج

١- يمكن اعتبار قصة «السّمكة الصغيرة السوداء» لصمد بهرنكي بمجملها قصة تمثيلية طافحة بدلالات رمزية.

٢- تنتمي القصة في أحوالها ومبادئها إلى المدرسة الرومنسيّة إلا أنّ قصة بهرنكي تجرى في نطاق الحياة الواقعية بحيث لا تنقطع صلة القصة عن الواقع طالما كرّست السّمكة حياتها لبلوغ مآربها وجنى ثمارها على أرض الواقع.

٣- ترمى القصة إلى حثّ القارئ على العمل على إصلاح وتحسين الواقع الذي يعيشه.

٤- الأخطار التي واجهتها السّمكة السوداء عبر رحلتها تستحثّ الهمم وتستثير العزائم على الصراع ضدّ الحياة البائسة والبيئة الضيقة التي يعيشها المخاطب المتلقّي.

٥- الرحلة التي تقوم بها السّمكة الصغيرة السوداء صورة رمزية عن السير نحو حياة أفضل وغد مشرق بعد تجاوز الصعاب واجتياز العوائق.

٦- هذه القصة بكلّ ما فيها من عناصر رمزية تجسيد رائع لسفرة جريئة شجاعة يقوم بها إنسان اشتهر من رتابة الحياة وسكونها ويطمح إلى حياة تنبض بالحياة والديناميكية.

٧- تحمل القصة رغم صغر حجمها دلالات متنوّعة على مختلف الأصعدة السياسية والاجتماعية والأخلاقية من أبرزها: السعي والانطلاق وراء الحياة المفعمة بالانفتاح و

الحرّیه والحماس.

۸- من أهمّ الدروس الّتی نستخلصها من القصة هی أنّ الطریق الّذی یوصلنا إلى الحرّیه والحیة الکریمة لا یخلو من التحدّیات والمطّبات الّتی لا یتّم اجتيازها إلاّ بالتخلّی بالصبر والحکمة والعمل بنصائح المصلحین المشفقین الّذین ینشرون العلم والوعی بإخلاص وجهد کنبراس یضیء الدرب للسائرین علیه.

۹- تحمل قصة بهرنگی بصمات رومنسیّة من الاحترام بالحرّیه والتطلّع إلى الحیة المثالیة والانطلاق وراء الغایات المنشودة والأهداف النبیلّة والدّعوة إلى الشعور بالمسؤولیة.

۱۰- رومنسیّة قصة بهرنگی لا تحدید عن عالم الواقع والعمل الجادّ والدّؤوب لنیل الأهداف والآمال بل إنّها تجرّی علی أرض الواقع وتمسّ الحیة الواقعیة وخیر دلیل علی ذلك أنّ القارئ یتماشی مع أحداث القصة یتعاطف مع بطل القصة ویشعر أنّه صورة رمزیة تمثیلیة عمّا عاشه هو فی الحیة الواقعیة.

المصادر والمراجع

بهرنگی، صمد. (۱۳۸۶ش). قصه‌های بهرنگ. تهران: مطبعة سرايش.
پورنامداریان، تقی. (۱۳۸۹ش). رمز و داستانهای رمزی در ادب فارسی. تهران: مطبعة علمی و فرهنگی.

خزائل، حسن. (۱۳۸۶ش). فرهنگ ادبیات جهان. ج ۱. الطبعة الثانية. مطبعة کلبه - دیر.
شرفیان، مهدی. داربیدی. یوسف. (۱۳۸۶ش). «بررسی سبلمهای سبب، کبوتر، گل سرخ و نیلوفر در اشعار سهراب سپهری». نشریه دانشکده ادبیات و علوم انسانی دانشگاه شهید باهنر. دوره جدید. شماره ۲۱. (پیاپی ۱۸).

شهبازی، عبدالله. (۱۳۷۱ش). ظهور و سقوط سلطنت پهلوی (به روایت تیمسار حسین فردوست). ناشر: مؤسسه اطلاعات.

شمیسا، سیروس. (۱۳۸۹ش). نقد ادبی. تهران: مطبعة مرکز.
شیری، قهرمان. (۱۳۸۷ش). مکتبهای داستان نویسی در ایران. تهران: مطبعة چشمه.
_____ (۱۳۸۲ش). «پیش درآمدی بر مکتبهای داستان نویسی در ادبیات معاصر ایران». مجله دانشکده ادبیات و علوم انسانی تبریز. ش ۱۸۹. صص ۱۴۹-۱۹۰.

عباسی، علی. یارمند. هانیه. (۱۳۹۰ش). «عبور از مربع معنایی به مرغ تنشی، (بررسی نشانه - معنا

شناختی ماهی سیاه کوچولو». پژوهشهای زبان و ادبیات تطبیقی. د ۲، ش ۳. پیاپی ۱۷. پاییز. صص ۱۴۷-۱۷۲.

لاج، دیوید. (۱۳۸۸ش). هنر داستان نویسی. الطبعة الأولى. تهران: مطبعة نی.
محسنی، احمد. (۱۳۸۳ش). «مکتبهای ادبی در رمانهای دولت آبادی، (نگاهی نو به کلیدر و جای خالی سلوج)». آموزش زبان و ادبیات فارسی. ش ۵۵. صص ۵۲-۵۹.
میر عابدینی، حسن. (۱۳۸۷ش). صد سال داستان نویسی ایران. ج ۱ و ۲. تهران: مطبعة سخن.
میر صادقی، جمال. (۱۳۸۷ش). راهنمای داستان نویسی. تهران: مطبعة سخن.
نصرت زادگان، نسترن. (۱۳۸۶ش). «بررسی تطبیقی آثار صمد بهرنگی و شل سیلورستاین». مجله ادبیات تطبیقی. ش ۶. صص ۱۷۵-۲۰۰.